المعتمد بن عبـــاد
من الناحية السياسية والأدبيـــة

محاضرة للعلامة المرحوم الأستـــاذ
الحسن الزهراوي

عرض وتقديـــم
د. محمد عز الدين المعيار الإدريسي

تقديم :

يعتبر الأستاذ العلامة الحسن الزهراوي أحد الوجوه العلمية البارزة بين علماء المغرب من الجيل الماضي وقد سبق لحوليات كلية اللغة العربية بمراكش ومجلة إحياء جامعة ابن يوسف أن نشرتا مجموعة من دروسه ومققالاته ومحاضراته كما قام نجله الأستاذ محمد الزهراوي بإخراج تراث والده العلمي والأدبي في ستة أجزاء ضمن سلسلة الحسن الزهراوي وبقيت أعمال أخرى تنتظر الفرصة لترى النور منها هذه المحاضرة التي يسعدني أن أقوم بعرضها وتقديمها ...

وترجع علاقتي بأستاذي إلى أيام الدراسة عندما كنا نتبع محاضراته بكلية اللغة العربية بمراكش في مادتي : الحضارة الإسلامية، وتاريخ العلوم، في وقت كانت الثقافة الإسلامية تعاني كثيرا من الجمود، فكان أستاذنا أحد القلائل من العلماء الذين نجد عندهـــم الجديد والفهم السديد لما يجري حولنا وما يجب علينا القيام به من أجل مواكبة الحياة والاستجابة لسنة التطور...

وتزامـــن مع ذلك تجديد ضريح المعتمد بن عباد بأغمات فعاد الحديث عن الشاعر الملك الأسير إلى الواجهة من جديد بكثير من العواطف المتمثلة لشعـــره.

غريب بأرض المغربين أسير سيبكي عليه منبر وسرير

بل لم يتورع بعضهم من تشويه الحقائق والمس بشخص أمير المسلمين يوسف بن تاشفين واتهامه بالانتهازية والاستغلال مـــع أن المعتمد نفسه يشهد أنه لولا يوسف لضاعت الأندلس منذ ذلك الزمـــان :

وقلبي نزوع إلى يوســـف فلـــولا الضلـــوع لطارا
ولولاك يا يوسف المتقـــى رأينا الجزيرة للكفر دارا

وفي المقابل هناك من التزموا الواقعية بعيدا عن العواطف أو المحاباة ولسان حالهم يردد مع شاعر الحمراء محمد بن ابراهيم قولـــه :

يعز علينـــا القصر يفقـــد مجـــده ويمسي ابن عباد به يخسر السعـــد
يعـــز علينـــا أن نـــراه مصفـــدا يساق إلى أغمات يرسف في القيد
ولكن لنصـــر الديـــن دين محمد وانقاذه مـــن بـــؤرة الهلك والنكد
نضحـــي بعبـــاد وآخـــر كابنـــه ومثله ممـــن لا يفيـــد ولا يجدي

في هـــذا السياق تأتي هذه المحاضرة للعلامة الحسن الزهراوي لتكشف عـــن جانب آخر من شخصية أستاذنا واهتماماته ...

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

المعتمد بن عباد من الناحية السياسية والأدبية

ساداتي سيداتي، إنني لسعيد بتلبية دعوة وزارة التعليم الأصلي والشؤون الثقافية[1] التي انتدبتين لإلقاء محاضرة في موضوع حساس من أهم المواضيع التي هي من صميم الحوادث المغربية.

وإنني أعترف سلفا بقصوري عن القيام بهذه المهمة على الوجه الأكمل لسببيـــن :

أولهما : أن الموضوع يتناول السياسة والأدب، وأنا لست بسياسي ولا أديب، فكيف يتسنى لي أن أكون حكما بين رجلين عظيمين كيوسف والمعتمد.

وثانيهما : أن ثقافتي أولا وأخير ثقافة أبناء القرويين. والمثقفون اليوم يزعمون أن ثقافة التعليم الأصلي على العموم لا تكوّن التفكير الصحيح المتـــزن.

لذا، أستسمحكم أيها السادة والسيدات الحاضرين وأرجوكم أن تدخلوا في حسابكم هذا الاعتبار إذا ما رأيتم بعض النقص في كلمتي المتواضعة.

سادتي سيداتي،

عندما نمر بالأشياء تختلف نظراتنا إليها وأحكامنا عليها، لأن كل واحد ينظر إليها من زاويته الخاصة حسب ثقافته وميوله.

فليست نظرة الإنسان العـــادي (إلى الأشياء) كنظرة الفنـــان أو الأديب أو الرياضي أو الجيولوجي، وهكذا دواليك.

غير أن هناك حقيقة واحدة تتفق حولها النظريات ولا تتشعب فيها الآراء، ألا وهي أن كل حي في العالم مآله الفنـــاء.

---

[1] كانت –إذ ذاك– للتعليم الأصلي (أو الأصيل كما استقرت عليه التسمية فيما بعد وزارة خاصة تجمعه مع الشؤون الثقافية وكان على رأسها الأستاذ محمد الفاسي رحمه الله.

فعندما نمر على القبور تكون هذه الحقيقة أول ما يخطر بالبـــال.

وتكون العبرة أشد عندما نمر بالقبور الدوارس، فتتوارد علينا الخواطر، وتتداعـــى الأفكار والعبر، وترجع بنا الذاكرة إلى الماضي البعيد، وتتوالـــى الذكريات. خصوصا إذا كان صاحب القبر ممن كانت لهم يد في توجيه حوادث التاريخ، وكان الدهر منقادا لمشيئته يأتمر بأوامره، ويقف عند نواهيه. ثم قلب له ظهر المجن، فصار يصدر إليه أوامره التي لا ترد ولا ترحم، كما هو شأن المعتمد بن عباد. ولقد عبر لنا هو نفسه عن هذا المعنى في قصيدة العيد بقوله :

قد كان دهرك إن تأمره ممتثلا فردك الدهر منهيا ومأمورا

وأعتقد أنه لا يمكن فهم حال شخصية من الشخصيات حق الفهم إلا بدراسة البيئة التي عاشت فيها الشخصية والظروف والملابسات التي تؤثر في توجيهها.

وعلى ضوء ذلك يمكننا أن نحكم للشخص أو عليه، (أو له) من ناحية، وعليه من ناحية أخرى، شريطة أن يتجرد الباحث من الذاتية لتكون الصور والظلال التي يرسمها معبرة عن الواقع.

فما هي البيئة التي نشأ فيها ابن عباد، والعصر الذي عاش فيه، والعوامل التي كان لها الأثر البالغ في حياتـــه؟

يمكننـــا أن ننظر إلى بيئة المعتمد من ناحيتين : ناحية التكوين البشري، وناحية التكوين الجغرافي.

أما **تكوين سكان شبه جزيرة إيبيريا** كما يسميها اليونان، أو إسبانيا كما يسميها الرومان، أو الأندلس كما يسميها المسلمون، فإنهم بلغوا من التعقيد ما يتعذر معه أن تتكون منهم وحدة سياسية منسجمة.

فقد تعاقبت عليها شعوب وأمم من مختلف الأجناس قبل الميلاد المسيحي وبعده، ودارت فوق أراضيها معـــارك طاحنة، وقامت فيها ثورات دامية،

فاشترك في تكوين تاريخها : الإيبيريون، (والسلتيون)، والفنيقيون، واليونان والرومـــان، والقرطاجيون، والصقالبة، والوندال، والقوط.

وعندما جاء الفتح الإسلامي ازداد تعقيدا، إذ دخل إليها العرب والبربر. والعرب انقسموا إلى يمنية ومضربة.

أما من الناحية الجغرافية، فإن شبه الجزيرة يتكون من أودية وعرة، وجبال شاهقة، وهضاب مرتفعة، وأمكنة منيعة، يمكن لكل من سولت له نفسه الخروج عن النظام العـــام أن يعتصم بها، ويتمتع بحمايتها آمنـــا مطمئنا.

إذن، فكيف يا ترى يمكن جمع هذا الخليط البشري الموزع في الجبال والأودية والهضاب تحت سلطة واحدة ما لم تكن هذه السلطة بلغت من القوة والحكمة الغاية القصوى لتقبض على الأمر بيد من حديد، وتكبح جماح الأهواء الضالة، والعصبيات المتنافسة؟

ومن ثمة كانت هذه البلاد قبل الفتح الإسلامي تتوزعها العصبيات القومية والاختلافات السياسية والدينية من (كَثْلَكة)، وأريوسية. وتكونت فيها دويلات لا تستطيع ضبط الداخل، ولا ترد عادية عاد من الخـــارج.

حتى إذا ما جاء الإسلام وجد الجو ملائما لفتحها وتركيز الإسلام فيها، دون جهد أو مشقة.

ولكن سرعان ما ظهرت العصبية بين المسلمين ورفعت رأسها من جديد. فكانت العصبية العربية من ناحية، والعصبية البربرية من ناحية (وعصبية الإسبانية الذين أسلموا من ناحية أخرى).

ثم العرب انقسموا على أنفسهم؛ فكانت هناك اليمينية، وهنالك المضربة.

وبذلك أوشك الزمام أن يفلت من يد المسلمين لولا أن الله تداركهم بصقر قريش عبد الرحمن الداخـــل.

ولقد وجدت الأندلس في عبد الرحمن الأول الرجل الكفء الذي يعمل بعزم لا يفل، وهمة لا تكل. فأمضى حياته في جهاد مستمر، وحركة دائبة. فضرب على يد العصاة، وقمع الكثير من الثورات، وحافظ للدولة على كيانها ووحدتها، وإن كلفه ذلك الشيء الكثير من الجهد وإراقه الدماء. وهذا أمر طبيعي في تأسيس الدول كما يقول أبو الطيب المتنبي :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى ۞ حتى يراق على جوانبه الـــدم

وبعد وفاة عبد الرحمن خلفه رجال من ذريته ساروا على نهجه وقويم خططه، فتوطدت دعائم الدولة وقوي نفوذها، حتى صار يخطب ودها القاصي والداني من الأصدقاء والأعداء على السواء، إلى أن تولى مقاليد أمورها هشام بن الحكم المستنصر بالله، الذي حال بينه وبين القيام بالمهمة التي أنيطت (به) صغر سنه وقوة حاجبه المنصور ببن أبي عامر.

فضرب هذا الأخير على يد هشام، وتولى تسيير شؤون الدولة بنفسه، ولم يبق للخليفة إلا الاسم.

وكان المنصور بحق كفئا لذلك؛ فهو يعد من أعظم رجالات الأندلس، فقد حافظ للدولة على هيبتها، وصان لها حرمتها بفتوحاته المتوالية ولكنه فتح على الدولة بابا لم يُغلق حتى طمع فيها كل طامع وبعد وفاته، خلفه ابنه عبد الملك ابن المنصور فسار على سنة أبيه وحزمه. وبعد وفاته خلفه أخوه عبد الرحمن بن المنصور الذي لم يكن جديرا بهذه الولاية، ومع ذلك أقدم على ما لم يقدم عليه أبوه، فانتزع من الخليفة الضعيف ولاية العهد لنفسه، فأدى به ذلك إلى قتله، وانتهت الدولة العامرية بموته.

ورجعت الخلافة الأموية إلى الظهور، ولكن خلفاءها لم يكونوا ممن يستطيع تجديد هيبـــة الخلافة ولا المحافظة عليها، وانتهت سنة 422 على يد هشام المعتـــد.

وفي هذا التاريخ أستأسدت الثعالب عندما سكت زئير الأسد، واستنسر البغاث[1] عند غياب البزاة[2]، وابتــدأ ما يسمى بعصر ملوك الطوائف. فتشوف للحكم كل مغامر، واستبد بناحيته كل طامع، وتكون في كل مدينة مُلك، وصار في كل قرية مَلِك. فتكونت دويلات تحمل شارة نهايتها عند بدايتها، وصحبت شيخوختها صباها، فقلما تجــد دولة منهم تجاوز عدد ملوكها ثلاثة أفــراد.

وفي هذا العهد الذي ابتــدأ فيه التفكك السياسي في الدولة الإسلامية في الأندلس ابتدأت الدويلات المسيحية في الجزيرة في التكتل والاتحاد، وبرز في الميدان السياسي فردناند الذي فرض الجزية على هذه الدويلات الإسلامية الضعيفة، ثم ظهر بعده الفونسو السادس الذي وضع خطة محكمة للقضاء على الإسلام في الجزيرة، فكان أولا يقتنع بالجزية ليقوي بها جيشه، وكان يعقد معاهدات انفرادية مع الدويلات الإسلامية، وكان في هذه المعاهدات يضرب عصفورين بحجر واحد؛ فهو بمقتضى هذه المعاهدات يعين بعضهم على بعض ليضعف الجميع، وفي نفس الوقت يتقاضى منهم زيادة على الجزية هدايا وتحفا ثمينة يقوي بها مركزه وجيوشه. وبعد هذه المرحلة يطلب من هذه الدويلات تقديم بعض الحصون الأمامية ليتمكن عند الحاجة من الانقضاض على هذه الدويلات.

وأعظم دولة ظهرت بين ملوك الطوائف هي الدولة العبادية في إشبيلية، التي كان مطمحها الوحيد هو إخضاع جميع الجزيرة لنفوذها، ليمكن لها أن تقف في وجه العدو الخارجي. وأول من أســس ملك هذه الدولة هو أبو القاسم محمد بن إسماعيل قاضي إشبيلية أولا، ثم حاكمها السياسي أخيرا.

---

[1] قال الجوهري في مختار الصحاح 24 (مادة بغث) : بغَاثُ الطير – بفتح الباء وضمها وكسرها– شرارها وما لا يصيد منها.

[2] قال ابن منظور في لسان العرب 72/14 (مادة بزا) : البازي واحد البزاة التي تصيد، ضرب من الصقور.

وقد تمكن بدهائه، وحسن سياسته، ووفور ثروته، وسمو أخلاقه، من الاستئثـــار بحكم إشبيلية والتخلص من الجماعة التي كانت تسير معـــه شؤون الحكم في بداية الأمر.

وقد توفي أبو القاسم سنة 433 بعدما وطد دعائم الملك للأسرة العبادية. وخلفه ولده عباد الملقب بالمعتضد الذي يقول المؤرخون عنه : إنه أعظم شخصية عرفها التاريخ في عهد ملوك الطوائف. فقد عرف بالدهاء المفرط، وبعد الغور، والقسوة المتناهية. وأكبر دليل على قسوته أنه قتل ولده إسماعيل لبادرة بدرت منه. وأعظم وأدهى من ذلك ما يذكره المؤرخون عنه من اتخاذ حديقة الرؤوس المحنطة. وهي رؤوس الملوك والأمراء الذين قتلهم حربا أو غيلة أو خيانة، وجعلها مزدهى يحضرها في حفلاته ولياليه الحمراء، فيطرب لرؤيتها ويقول : في مثل هذا فليتنزه المتنـــزهون. ومع هذه الشدة كلها فرض عليه الجزية فرديناندو.

وكان المعتضد يوجه حربه ضد جميع ملوك الطوائف، ويشتد بصفة خاصة في محاربة من كان منهم من أصل بربري، لما أخبره به قراء الطوالع من أن دولته ستسقط وتستذل أسرته على يد البربر. وقد خامره شيء من الاطمئنان عندما قضى على كثير منهـــم.

ولكن سرعان ما تبين له خطأه عندما سمع بقيام دولة بربرية بالعدوة ونزولها بساحة مراكش، وما هي عليه من التمسك بالدين وإقامة شرائعه. فجمع أولاده وقال لهم : " يا ليت شعري، من تناله معرة هؤلاء القوم، أنا أو أنتم؟" فأجابه المعتمد بقوله : " جعلني الله فداك، وأنزل بي كل مكروه أن ينـــزل بك". فكانت دعوة وافقت القدر كما يقول عبد الواحد المراكشي.

وقد توفي المعتضد سنة هـــ461 ذهـــب مثقلا بالهموم التي خلقتها في نفسه هذه الفكرة، فخلفه ولده المعتمـــد.

ولد المعتمد سنة 432، أي بعد نشأة ملوك الطوائف بمدة، فنشأ في هذا الجو القاتم المفعم بالدسائس والخيانة والمؤامرات، وشاهد في بلاط والده ما كان يحاك من الدسائس، وشارك فيها مباشرة مع صديقه الداهية أبي بكر بن عمـــار عندما وكله (أبو شلب) وناحيتها.

فماذا نأمـــل من المعتمد والحياة هلى هذه الحـــال.

لقد كان المعتمد ابن بيئته، ونهج نفس السياسة الملتوية التي رآهـــا تجري في بلاط أسلافه، وتوجه إلى الانتقام من منافسيه بالحرب تارة، وبالخيانة تارة أخرى. كما وقع له في قضية قرطبة حين خـــان عبد الملك بن جهور الذي استغـــاث به عندما حاصره المأمون بن ذي النـــون فهب لنجدته، ولكنه استصفى المدينة لنفسه. وسلك مع الفونسو السادس ملك قشتالة السياسة الهوجاء التي أوقعه في مخالبها وزيره المغامر أبو بكر بن عمار. فعقد معه معاهدة سرية تعهد الفونسو بمقتضاها أن يعين المعتمد على محاربة منافسيه من المسلمين. وتعهد المعتمد من جانبه بأن لا يتعرض لمشروع الفونسو القاضي باحتلال طليطلة التي يحكمها القادر بن ذي النون وأن لا يترك لبني (الأفطس) الفرصة لمعاونة ملك طليطلة.

وفوق هذا كله، كان المعتمد كغيره من ملوك الطوائف يتمتع بملذات الحياة كلها، لا يفرق بين حلالها وحرامها. وقد صار هذا من الأمور المألوفة، لا يتعرض له بنهي ولا إنكـــار.

وبعدما احتل الفونسو السادس طليطلة صمم على أخذ جميع الجزيرة واستردادها من يد المسلمين، ولم يعد يقتنـــع منهم بالجزية ولا بالهدايا، ونقض جميع المعاهدات التي بينه وبينهم، فطلب منهم الاستسلام دون قيد أو شرط، إذ من المعلوم أن الفونسفو لا يلتزم بما عاهـــد عليه.

وهنا ندم المعتمد على ما فرط منه ولات حين ندم. وصار يفكر في الإنقاذ، ويتردد بين أمرين لا ثالــث لهما؛ أحدهما مشكوك والآخر متيقن كما قال هو نفسه حين قال " إني من أمري على حاليــن؛ حالة يقين، وحالة شك، ولا بد لي من أحدهما :

أما حالة الشك، فإني إن استندت إلى ابن تاشفين أو إلى الفونسو، فمن الممكن أن يفيا لي ويبقيا على وفائهما، ويمكن ألا يفعلا، فهذه حالة الشــك.

أما حالة اليقين فإني إن استندت إلى ابن تاشفين، فإني أرضي الله. وإن استندت إلى الفونسو، أسخطت الله تعالى. فإذا كانت حالة الشك عارضة فلأي شيء أدع ما يرضي الله إلى ما يسخطــه".

وهنا صمم على الاستنجاد بيوسف بن تاشفين، متناسيا تلك الفكرة التي طالما أقضت مضجع والده. كل ذلك في مصلحة الإســلام.

وعندما طلب منه يوسف تسليم الجزيرة الخضراء لتنزل بها جنوده، حذره ولده الذي كان يلي أمر الجزيرة. فأجابه بقوله : " يا بني، هذا قليل في حق نصرة المسلميــن".

وعندما حذره ولده الرشيد مغبة الاستنجاد بالمرابطين، أجابه بقوله : " أي بني، لا يسمع عني أني أعدت الأندلس دار كفر، ونصب دار كفر، وتصب على اللعنة فوق لمنابر كما صبت على غيري. رعي الجمال خير من رعي الخنازير".

وإنا لنرجو أن تغفر هذه النية الصالحة للمعتمد بعض الأخطاء السياسية التي أوقعته فيها ظروفه الحرجة.

وهنا أتجه إلى ابن تاشفين؛ تارة برسله وكتبه، وتارة بنفسه. فعبر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وأحرز على النصر الباهر في وقعة الزلاقة، فمالت إليه النفوس، وخصوصا الدهماء، ورأوا فيه المخلص الوحيد للإسلام.

وهنا تحرك الفقهاء كعادتهم في مثل هذه الظروف، بعضهم بدافع الغيرة الدينية، وبعضهم بدافع التشفي من هؤلاء الملوك الذين أعرضوا عن الفقهاء وأغدقوا نعمهم على الشعراء والأدباء والمغنين. فأصدروا فتوى يبيحون فيها لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين عزل ملوك الأندلس ومقاتلتهم لما هم عليه من التفرقة أمام العـــدو، ولاشتغالهم بملاهيهم وملذاتهم عن القيام بواجب الدفاع الذي تفرضه الحالة، وإخلالهم بالديـــن.

فعبـــر يوسف إلى الأندلس عبورة الثالث، وصار يستولي على الممالك الأندلسية الواحدة تلو الأخـــرى.

وبعد أن وصل دور إشبيلية، أحاطت بها جيوشه إحاطة السوار بالمعصم، وأخذ المعتمد وأسرته بعد أن دافع دفاع المستميت، ونُقِل إلى العدوة حيث عـــاش في مدينة أغمات ما يناهز أربع سنوات، يرسف فيها في القيود والأغلال، لا يجد هو ولاعائلته ما يسدون به حاجتهم من القوت والملبس، حتى اضطرت بناته إلى الاشتغـــال مع الناس ليكتسبن قوتهن وقـــوت والدهـــن.

وممـــا يدل على علو همته وعجيب أمره، أنه رغـــم ما قاســـاه من الشدائدا، لم يتنازل عـــن كبريائه، ولا خضع لأعدائه، ولا ذكر يوسف في شعره إلا مرة واحدة، عندما مدحه على الانتصار في وقعة الزلاقة. وقد صور لنا نفسه إباءه في قولـــه :

قالوا الخضوع سياسة   فليبد منك لهم خضوع
وألذ من طعم الخضو   ع على فمي السم النقيع[1]

ولما توفي سنة 488 نودي عليه : الصلاة على الغريب.

---

[1] المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي : 208 تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العملي ط7 : 1978 دار الكتاب – الدار البيضاء المغرب.

وقد أثيرت حول هذه المعاملة التي عومل بها المعتمد وأسرته مناقشات حادة وأحكام قاسية على هذا الجانب أو ذاك، وتدخلت في ذلك العواطف التي حركها المعتمد بشعره الذي يفتت الأكباد القاسية، ويبعث على الإشفاق والرحمـــة.

والواقع أن المعتمد كان رجلا عظيما حقا؛ شجاعة وحلما وذكاء، ولكن الظروف لم تواته. وكانت له وجهة نظر في السياسة الملتوية التي كان يسلكها، والأخطاء التي وقع فيها.

وإن عظمة ملوك الطوائف على العموم كانت تتجلى في قصورهم وحفلاتهم وعيشهم، بينهم هم يؤدون الجزية وهم صاغرون لملك قشتالة.

أما يوسف فإن دولته كانت في بدايته لا تعرف شيئا من المداهنة السياسية، وكانت قائمة على الدين الصحيح.

أضف إلى ذلك أن ملوك الطوائف بمراسلتهم ليوسف، وكتبهم التي وجهوها إليه سجلوا على أنفسهم العجز عن القيام بالدفاع عن الإسلام، وأنهم غير أهل لذلك. وأكد له الفقهاء هـــذا الضعف بالفتوى التي وجهوها إليه. فماذا يراد منـــه أن يفعل؟

بقي أن يقال : إن يوسف فرق بين هؤلاء الملوك في المعاملة كما يذكر المؤرخون. وهنا يقال إن البلايا تأتي على قدر الهمم. ولا شك أن المعتمد كان أعظم ملوك الأندلس. كان من اللازم أن يتخوف من جانبه، لذلك نال الجزاء الأوفى من المحـــن؟

ومع هذا كله، فإنه كان من اللائق بمقام المعتمد ومقام يوسف أن تجرى النفقة على عيال المعتمد حتى لا يبلغن إلى ما بلغن إليه من الذل والمهانة بعد العز والملك.

ومهما اختلفت النظريات والآراء في الحكم على المعتمد من الجانب السياسي، فإنها تكاد تتفق في الجانب الأدبي على أن المعتمد كان من أعظم

شعراء العربية الذين أجمع الناس على الإعجاب بهم في العالم الإسلامي. وقد ترك لنا ثروة من إنتاجه، وثروة أعظم مما قيل فيه.

يقول المستشرق الإسباني كرسيا : « إذا كان تصوير المحنة العامة التي شملت الشعر خلال ذلك العصر في صورة شخص واحد، فليس من هو أولى بذلك من المعتمد بن عباد».

وقد كان يمثل الشعر من ثلاثة أوجـــه :

أولا : أنه كان ينظم شعرا يثير الإعجاب.

وثانيا : أنه كان يحاول أن يجعل حياته كلها قصيدة واحدة من الشعر الحي.

وثالثا : (فإنه) كان راعي شعراء الأندلس وصقلية وإفريقيا.

قال عبد الواحد المراكشي : «كان شعره كأنه الحلل (المنكسرة)، واجتمع له من الشعراء وأهل الأدب ما لم يجتمع قبله لملك من ملوك الأندلس».

ويتقسم شعره إلى قسمين : شعر الترف والرخاء قبل الأسر. وشعر الألم والذكرى بعده.

لذا يمكننا أن نقارن بينه وبين أبي فراس الحمداني، وخصوصا في شعر المنفى، للتشابه الكبير بينهما في الحال والظروف وموضوع الشعر، وإن كان المعتمد أكثر خيالا وأروع صورا. وذلك يرجع إلى بعض الفوارق بين الرجلين؛ فليس الملك الذي يصدر الأوامر كالأمير الذي تصدر إليه الأوامر.

هذا وإنه لمما يؤسف له أن يبقى ضريح المعتمد في طي الإهمال عدة قرون. ولكن الله قيض له في وقتنا أمير المؤمنين، وحامي حمى الملة والدين، الغيور على العلم والعلماء، جلالة (الملك الحسن الثاني) فأظهر معالمه بعد الخفاء، وهذا شيء طبيعي، إذ لا يعرف الفضل إلا (ذووه). فجزاه الله خيرا.